المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

جماليـة المخطـوط المغربـــي
من الخـط إلى التشكـيل

د: لطيفة آل دليل [1]
د: نور الدين اجعيط [2]
شعبة اللغة العربية

[1] كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب
[2] كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض
مراكش، المغرب
Latifa.aldalil@usmba.ac.com

الملخـــص

يشكل التعالق بين جمالية الخط المغربي والتشكيل أحد المياسم التي طبعت المخطوط المغربي، وهذا التجاور بين الحرف والرسم شكل لبنة جمالية وبلاغية لإنتاج دلالات جديدة. فأنشأ بذلك مساحة فنية في النصوص المختلفة ومظهرا بصريا في التراث العربي الإسلامي والمغربي خاصة. وإن التمظهر الخطي والتشكيلي بأنماطه وألوانه في المخطوطات، يعد أفضل ما كشف عن جماليات النظم البصري للحروف العربية، ولفت الاهتمام إلى مجال الكتابة الخطية في شكلها الجمالي، وأهمية الخط باعتباره صانعا للنظام والجمال،ومجسدا للكلمة أو العبارة بشكله وامتداداته. كما كشف عن حذق وبراعة الخطاط المغربي في المزاوجة بين الخط والمنمنمات كقيمة تعبيرية وجمالية موازية للنص؛ تكشف عن جوانب خفية تعجز العبارة عن تبلغيها، وتطويعها وفق الخصوصيات الدينية والثقافية والحضارية المغربية.

الكلمات المفاتيح: المخطوط، الخط المغربي، الجمالية، المنمنمات.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

Abstract

The intersection between the aesthetic of Moroccan calligraphy and the formation is one of the features that have characterized Moroccan manuscript, and this juxtaposition between crafts and painting has formed an aesthetic and rhetorical building block to produce new connotations. In doing so, he created an artistic space in various texts and a visual manifestation in the Arab-Islamic and Moroccan heritage in particular.The linear and formative manifestation with its patterns and colors in the Moroccan manuscript is the best that revealed the aesthetics of the visual systems of Arabic letters, and drew attention to the field of calligraphy in its aesthetic form, and the importance of calligraphy as a maker of order and beauty, and the embodiment of the word or phrase in its form and extensions .He also revealed the ingenuity and ingenuity of the Moroccan calligrapher in marrying calligraphy and miniatures as an expressive and aesthetic value parallel to the text; revealing hidden aspects that the phrase cannot communicate and adapt to Moroccan religious, cultural and civilizational specificities.

Keywords :*manuscript, calligraphy, aesthetic, miniatures.*

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

مقدمـــة

لطالما كان التعبير عن الجمال والبحث عن مظاهره وصوره الحسية والمعنوية، من أعظم الغايات التي يهدف إليها الفلاسفة والبلاغيون وغيرهم، ولاشك أن الإنسان بطبيعته يميل ويستجيب لكل ما هو فني وجمالي، يعكس ويعبر عن خبرة من خبرات الوجود البشري بأسره، ابتداء من أدنى انفعالاته إلى أرقاها، وحين نتحدث عن الخبرة الجمالية فإنما نعني بها إدراك الإنسان لما في الطبيعة حسيا وجماليا، واكتشافه لما فيها من نظام، وانسجام، وتوافق، والفارق بين إدراكه الحسي والجمالي؛ أن الأول منهما يقتصر على معرفته بالموضوعات، بقصد استخدامها والانتفاع بها، في حين أن الثاني لا يرى في الموضوعات سوى ظواهر جمالية يتذوقها، ويحس بها إحساسا عميقا، خصبا، وفيرا، ويتوقف عندها لذاتها، ويستمتع بها استمتاعا حرا نزيها؛ لأنها تحرره من أسر المنفعة المادية، وقيد ما هو مبتذل ومعتاد.

وهذا التحرير يُحقق حين يعرف الفنان كيف يجعل من المحسوس لغة أصيلة تقوم بمهمة التعبير والتبليغ، تتجاوز ما هو منطقي وعقلي إلى ما هو رمزي أو شكلي حسي في تنسيق الواقع وتنظيمه، وتصوير المعاني وتجسيدها. لكن هذا التصوير لا يعيد إلى إدراكنا أشياء كانت موجودة من ذي قبل، وإنما هو في صميمه كشف أصيل، يجعلنا نقف على حقائق الأشياء والمعاني، ويحولها من مجرد ومضة، إلى حقيقة يلامسها الإنسان.

- مشكلة الورقة وتساؤلاتها:

سأحاول من خلال هذه الورقة ملامسة نصوص معزولة في التراث المغربي، واستجلاء بعض مظاهرها الفنية والجمالية، وطبيعة الموضوع تملي علينا أن ننظر إليه من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ماهي المظاهر الجمالية للمخطوط المغربي؟
- ما المقصود بالخط المغربي؟ وماهي أنواعه ومميزاته؟
- ماهي القيمة الجمالية والتعبيرية للمنمنمات؟

- أهداف الورقة وأهميتهـــا:

شكلت عملية التداخل بين جمالية الخط والتصوير والنص حلقة هامة، فمن خلال هذه العلاقة المحفوفة بالجمالية، كان هدف الورقة هو استجلاء جمالية المخطوط المغربي، وتبيان وظائف ذات قيمة بلاغية ونقدية

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

أداها الخط المغربي والمنمنمات من خلال قدرتهما على اختراق أبعاد النصوص، والكشف عن ملامحها، ودلالاتها، ومعانيها المختلفة.

1- جماليـة المخطـوط المغربـي:

يمتلك المغرب رصيدا وثائقيا مهما من التراث المخطوط، سواء في الخزائن العامة أو الخاصة أو في مكتبات الزوايا، ويعكس هذا الرصيد عمق الاهتمام بالمقروء لدى المغاربة عبر تاريخهم إنتاجا وصناعة ومعرفة. ويتميز هذا التراث بغناه وتنوعه وخصوصيته، سواء على المستوى المعرفي أو على المستوى الجمالي.

ويتفرد المخطوط المغربي إلى جانب اعتماده على حوامل متنوعة؛ كالرق والورق بأصنافه والحرير، ثم التسفير المتميز بأشكاله البديعة والحبر بأنواعه وألوانه، بقيمته الجمالية التي يستمدها من قدرة الخطاط على تشكيل الحروف حسب أنماط الخط المغربي بفروعه المختلفة،وبراعته في تجويد وتزيين النصوص، بالأشكال الزخرفية والمنمنمات، وتنسيق الألوان، والفراغات المحيطة، والنقاط، والتناغم في الأشكال، والتدرج، وطول الأسطر، والرتابة في عددها، وتراص الكلمات، واتصال الحروف وانسيابها، وغيرها من المظاهر التي تعكس حرفية الوراق المغربي ومهارته في التزويق والتنميق. بشكل يجعل المخطوط يحبل بطاقة فنية وبلاغية هائلة؛ فأشكاله وخطوطه الكثيرة والمتنوعة المصنوعة بدقة متناهية، عبارة عن حمولات فنية ودلالية تشهد على حقب تاريخية متعددة، وعلى عمق ثقافي وحضاري.

✓ الخط المغربي : تعالـق بين فنية الحرف وجمالية اللغة:

➢ الخط بين الشكل والدلالة:

قال "ابن خلدون" في مقدمته: "إن الخط رسوم وأشكال حرفية، تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يميز بها عن الحيوان، فهي تضطلع أيضا على ما في الضمائر، وتتأدى بها الأغراض إلى البلد البعيد، فتقضى الحاجات وقد دفعت مؤونة المباشرة لها. ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم، فهي شريفة بهذه الوجوه". (ابن خلدون، ص 318).

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

وعبر عن ذلك "الإمام الغزالي" بقوله: "إن للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة. فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الوجود في الأعيان" (الغزالي (1990)، ص: 35-36).

وإن فكرة تصوير ما في النفس بالخط ومطابقة المسطور لما في الذهن؛ هي الفكرة التي عبر عنها "حازم القرطاجني" في منهاجه حين قال:"كل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصور الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في إفهام السامعين وأذهانهم، فصار للمعنى له سمعها من المتلفظ بها، صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيئات الألفاظ، فتقوم بها في الأذهان صور المعاني، فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليه". (القرطاجني، المنهاج، ص:19/18).

وقال "أمين الدين ياقوت الملكي":"الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية، وهي تضعف بالترك وتقوى بالإدمان". (ابن خلكان، ص: 19).

يظهر مما تقدم، أن مفهوم الخط قد أخذ في الاتساع ضمن مقولات فكرية وفلسفية وروحانية، فأيا كان نوعه فهو تعبير دال يصور عالم الفكرة التي تحتضنها اللغة، فيعرج بالنفس من الأدلة إلى المدلولات، وبقدر ما يتمتع به من تناسق وانتظام ينال المضمون حصته من الفهم والإيضاح. مما يؤكد على مبدإ بصرية اللغة، وأن الصورة الخطية للكلمة تتوافق مع ما في الذهن من هيئة، فلا تعارض بين ما هو خطي/صوري، وبين ما هو ذهني، وبهذا يصير العالم البصري واللغة عالما واحدا.

ويتميز الحرف العربي عامة بطواعيته ومرونته، واتصاله ببعضه البعض مما يتيح للخطاط هامشا إبداعيا واسعا. كما ينبني فنيا وجماليا على ضوابط محددة تتمثل أساسا في التناسب بين الخط والحركات وعلامات النصب والجر والرفع والمدود، وتستعمل فيه مجموعة من الصيغ الفنية التي تتصل مباشرة بالفنون التشكيلية، كالألوان والخطوط، والنسب والكتل، والطبقات والتركيب، بشكلها الجمالي التي تمنحه حركة ذاتية تجعل منه صورة جمالية مستقلة عن مضامينه، ومرتبطة معها في آن واحد. (البندوري محمد، 2016، ص: 107).

➢ لمحة عن نشأة الخط المغربي:

حمل الفاتحون المسلمون دينهم وشرائعهم إلى سكان المغرب، كما أدخلوا الخطّين اللذين كانا شائعين آنذاك؛ وهما الخط الحجازي أو المكي اللين، والخط الكوفي اليابس. كما أدخلوهما في المصاحف المعتمدة اعتمادا

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

كليا على الخط الحجازي. وقد استقر المسلمون في القيروان من الشمال الإفريقي سنة (50 هـ -670م)، وفي هذه العاصمة الإسلامية الجديدة انتشر القرآن وخطّه بين أهل المغرب، ومنه انتقل إلى الأندلس بعد فتحها. ثم بدأت معالم استقلال المغاربة بخطهم تظهر منذ العصر الموحدي. وأخذ الخط العربي في المغرب يتطور ذاتيا من داخله، ومن أبناء المغرب نفسه، بعيدا عن الحركة الفنية في المشرق (المغراوي محمد (2001) ص: 7). فانسلخ من أصله وأخذ يكتسب الخصوصية المغربية المحلية والحضارية، ويرسم طابعه الفني، وأساليبه في الكتابة، ارتباطا بالتطور الحضاري المغربي، ويمكن إجمال تطور الخطوط المغربية في ثلاث مراحل:

- **المرحلة القيروانية:** مس فيها التطور الخط الكوفي، الذي لازالت النماذج المعروفة بالكوفي القيرواني تعكس خصوصياته، وتميزه عن الكوفي المشرقي.
- **المرحلة الأندلسية:** تطور فيها أيضا الخط الكوفي إلى الخط اللين الدقيق ثم الخط القرطبي المبسوط. وقد أثرت المدرسة الأندلسية على الخط المغربي تأثيرا مباشرا.
- **المرحلة المغربية:** بدأت مع انتقال الخط الأندلسي إلى المغرب منذ العصر الموحدي، ومن ثم تطويره محليا حتى ظهرت ملامح تميزه عن الخط الأندلسي تدريجيا، فأصبح يعرف بخط المغاربة أو الخط المغربي.

والسبب في سيادة الخط الكوفي في المغرب آنذاك، دون غيره من الخطوط العربية كون هذا الأخير أداة الكتابة منذ صدر الإسلام، وبما أن المغاربة لم تكن لهم كتابة خاصة إبان فتح الإسلام لبلادهم، فإنهم تبنوا الأبجدية الكوفية. لكن عندما تلقاه المغاربة طوعوه وأحدثوا عليه تغييرات كثيرة، فتطور إلى الكوفي القيرواني، وأخذ الخط الأندلسي يطغى عليه في ظل الحكم المرابطي، فازدهر وانتشر في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وأصبح طاغيا على بقية الخطوط الأخرى وانتعش في القيروان. وظهر في هذا العصر خطاطون على الطريقة الأندلسية بين مغاربة وأندلسيين استوطنوا المغرب، وقد أدت مزاحمة الخط الأندلسي للقيرواني إلى حدوث منافسة بين الخطين (بهنسي، عفيف (1984)، ص: 57).

لذلك أُطلق عليه أول الأمر، الخط المغربي الأندلسي تمييزا له عن الخط المشرقي، ثم ما لبث أن أصبح هذا الخط يطلق على الخطوط التي نشأت بالمغرب الأقصى وحافظ عليها أهله، وتلك التي انحدرت من الأندلس مع الهجرات المتتالية للأندلسيين، فاحتضنها أهل المغرب وطوروها وتفننوا فيها على مدى قرون. فابتدعوا خطا مغربيا صرفا تفاعلت فيه عناصر عربية وإفريقية وأمازيغية.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

فساهم هذا التنوع الحضاري المغربي في تفنن النساخ المغاربة في إبداع مجموعة من الخطوط ابتداء من الكوفي المغربي، ثم الثلث، فالمبسوط أو المستقيم والمجوهر، ثم الزمامي أو المسند، ووصولا إلى الخط المدمج. بل اختصت كل مدينة وكل منطقة بنوع معين من الخط يميزها عن باقي المدن والمناطق، وهكذا نجد ما يطلق عليه بالخط الفاسي، والخط السوسي، والخط الدرعي، والخط الصحراوي، والخط الفيلالي، وغيرها، كما كان للخط المغربي إشعاع كبير واكب حيوية الثقافة المغربية وامتدادها جنوبا وشرقا، فظهرت في مجموعة من البلدان أساليب خطية مشتقة من الخطوط المغربية وقريبة الشبه بها.

ويعد الخط المغربي من أنفس الخطوط العربية وأجملها شكلا وهندسة؛ لما يتميز به من الانسجام والتناغم، فضلا عن التجريد والغنى والتنوع، والليونة والانسيابية ثم الحرية التشكيلية. فبلغ مكانة هامة جعلت الخاصة يهتمون به ويوظفونه في تزيين جدران وسقوف القصور والمساجد، كما تحلت به نفائس المخطوطات التي تعد درة في عقد الفنون الإسلامية.

- **أنواع الخـط في المخطـوط المغربـي**:

نميز في الخطوط المغربية من الناحية الفنية بين مستويين أساسيين؛ هما الخطوط الفنية والخطوط الاعتيادية؛ فلأولى هي تلك الأنواع التي تخضع لمقاييس بصرية وضوابط فنية، يكتسبها الخطاط بواسطة التقليد والدربة والمران الطويل، منها الخط الكوفي، والثلث المغربي، والمبسوط والمجوهر. أما الاعتيادية منها؛ فهي خطوط وظيفية توظف في التدوين والكتابة، ولم تكتسب قيمة فنية عالية، كما هو الشأن بخصوص المسند.

وإن التفاعل بين ذهنية المغربي /الصحراوي/ الأمازيغي والثقافة العربية، قد أنتج تعبيرا صريحا في مجال الكتابة وطرائق تشكيل الحروف والخطوط بالمغرب. ذلك أن تراثنا القديم بمختلف فروعه وأنواعه العلمية والأدبية والعمرانية، يزخر بنصوص تشهد طريقة كتابتها ونسخها على خصوصية الذاتية المغربية، ونوعية ثقافتها، وتميزها عن غيرها من الثقافات العربية الإسلامية، ولم ينتبه إليها الدارسون، إما لعدم الدراية بالخط المغربي وخصوصياته، أو لكثرة التعقيد، حيث إن نصوصا كثيرة يصعب قراءتها نظرا لطابعها التشكيلي، أو لأن نصوصا أخرى مطلسمة، وهذه خاصية في الخط المسند. (البندوري (2016) ص: 109).

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

وربما يرجع هذا التنوع لاستخداماته المختلفة، والتي حددت لغايات متنوعة منها؛ الروحانية وأغراض مادية انسجاما مع تنوعه وتعدده، فمنه ما استخدم لكتابة الآيات القرآنية الكريمة، ومنه ما استعمل في نسخ الكتب، ومنه ما خصص لكتابة العقود والمواثيق، ومن هذه الخطوط المغربية نذكر:

❖ الخط المغربـــي المبســـوط:

يعد الخط المبسوط أكثر الخطوط المغربية شهرة، فقد استعمل منذ القديم في كتابة المصاحف والأدعية والصلوات، وعلى أساسه يتم التعليم في الكتاتيب القرآنية (المغراوي، ص: 58). وقد امتاز بليونته ووضوحه، ولعب دورا في النسخ والتحرير، لانضباط ارتفاعاته، وامتداداته، وانحداراته، وتعريقاته، وقد نال حظه من التطوير والتحسين والتقعيد. ومنه النماذج التالية (الشكل 1):

الشكل رقم (1) نموذج للخط المغربي المبسوط

خط مبسوط، من دلائل الخيرات للجزولي، مخطوطة خاصة نسخت سنة 1853م

خط مبسوط قديم، بخط الخليفة عمر المرتضي الموحدي، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط رقم:ج 1278

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

❖ الخـط المجـوهـر:

انحدر هذا الخط من المبسوط، فصار خطَّ الكتابة المعتاد في الحياة العامة بالمغرب خلال القرون المتأخرة، وخصوصا في الرسائل والظهائر السلطانية والطبعات الحجرية. وهو أكثر الخطوط المغربية استعمالا، ومن نماذجه خطوط المراسيم السلطانية، والرسائل الخصوصية والعمومية، وبه طبعت الكتب العلمية بالمطبعة المحمدية أيام السلطان محمد الرابع، (المنوني محمد، ص: 47)، ويمتاز بدقة حروفه وصغرها وتقاربها، ويوحي تناسقها بعقد الجوهر. (المغروي محمد،ص:62)، فمقاييس حرفه أقل حجما من المبسوط وبعضها مطموس؛ وهي العين والغين إذا وقعتا في وسط الكلمة، والفاء والقاف والواو والميم، كما يظهر في الشكل رقم (2)، وهي سمة تميز هذا الخط وتزيده رونقا وعذوبة. (البندوري محمد (2016) ص: 115).

الشكل رقم (2) نموذج للخط المغربي المجوهر

خط مجوهر من رسالة التحقيق في صفات أهل التوثيق، لمحمد المفضل الغماري، مخطوطة خاصة تعود لسنة 1901م .

الخط المجوهر، من مخطوط مفاتيح الرحمة في أسرار الحكمة للطغراني، (م،ر،م،م،ر)،رقم د 643

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

❖ الخط المسنــد أو الزمامــي:

اشتق هذا النوع من الخط المجوهر، وهو خط سريع، حروفه مائلة إلى اليمين ومتسلسلة، ويعرف أيضا بـ"الزمامي" وهذا الاسم مشتق من الزمام؛ وهو التقييد والتسجيل في الدارجة المغربية. أما تسمية المسند فأطلقت عليه لوصف ميل حروفه نحو اليمين كميل حروف الخط المسند العربي القديم. ويُستعمل بالخصوص في التقاييد الشخصية، وفي السجلاّت العدلية وكنانيش العلماء (المغراوي، ص:67)، ولا يُستعمل في الكتب إلا نادرا ويعد من أصعب الخطوط المغربية في القراءة لسرعة واختزال حرفه، ومن أمثلته الشكل رقم (3).

الشكل رقم (3) نموذج للخط المغربي المسند

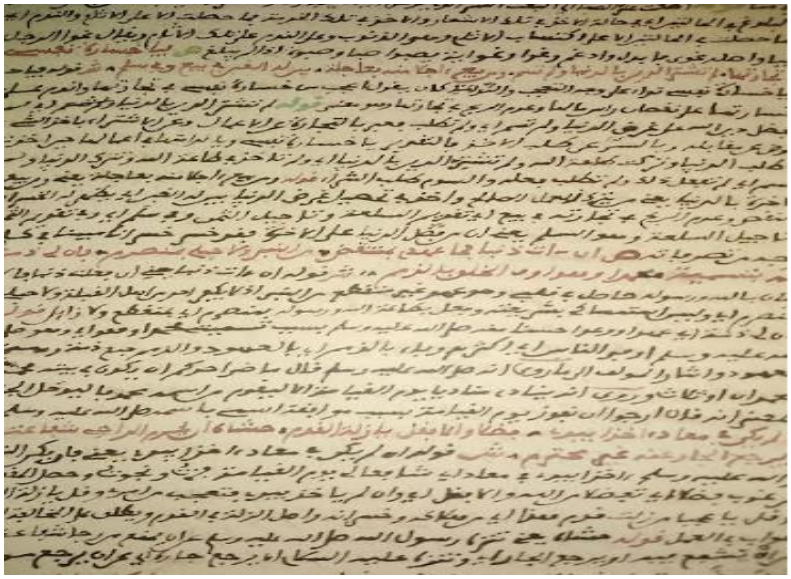

خط مسند من شرح لمختصر الشيخ خليل، لمحمد لامين لعويسي الشنقيطي، مخطوطة خاصة تعود لسنة 1849م

❖ خط الثلــث المغربــي:

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

كان يعرف أيضا بـ"المشرقي المتمغرب"، ويمتاز الثلث المغربي بجمال حروفه وليونتها، وبإمكانياته غير المحدودة على التشكيل، إذ تُكتب به فواتح السور وديباجة بعض الكتب كما يُستعمل في زخرفة المساجد والأضرحة والمدارس العتيقة، (المغراوي، ص: 58)، وهو لا يخضع لقواعد سوى المعايير الجمالية البصرية التي تضفي على الكتابة انسيابية وتناغما داخليا، وقوّة تأثير على الناظر تشهد لها بالجودة والحسن ولصاحبها بالمهارة والحذق، وتتعدّد صور الحرف الواحد وتتغيّر أحجامه حسبما يقتضيه وضعها في التشكيل الخطاطي متخذا في بعض الأحيان أشكالا متعددة بخلفية نباتية ملوّنة بماء الذهب أو غيره. انظر الشكل رقم (4).

الشكل رقم (4) نموذج لخط الثلث المغربي

خط الثلث المغربي من مخطوط الذخيرة للشرقاوي، (م،ر،م،م،ر)، رقم ج513

❖ الخط الكوفـي المغربــي:

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

وهو خط هندسي بديع يتميز بخطوط مستقيمة وزوايا حادة (انظر الشكل رقم (5))، وهو من الخطوط التزيينية التي لا تستعمل في الكتابة العادية إلا نادرا، ومن ذلك عناوين السور في بعض المصاحف وزخارف بعض الصناعات التقليدية وبعض أعمال الفن التشكيلي المعاصر.

الشكل رقم (5) نموذج للخط الكوفي المغربي

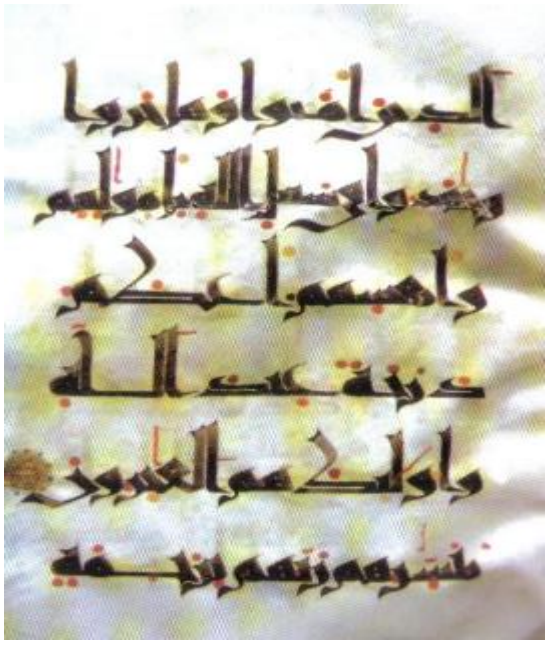

خط كوفي مغربي من مصحف على الرق (م،ر،م،م،ر)، رقم ج1

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

2- المقومات الجمالية والتشكيلية للمخطوط المغربي:

2-1- المظاهر الجمالية للخط المغربي:

تتبدى جماليته في أشكال إبداعية وفنية، تزكيها كل المجالات التي احتضنته عبر الحقب التاريخية، من عمارة، وقماش، ونحاس، وخشب، وزجاج، ومخطوطات، وكتب، ولوحات فنية؛ وذلك لتناسبه مع مختلف الأشكال، ومطاوعة حروفه لكل المجالات العلمية والحرفية وغيرها، والخط المغربي يمتلك دلالات كثيرة منها ما يرتبط بالثقافة الحروفية المغربية، ومنها ما يتعلق بالطابع الديني والروحي والوجداني، ومنها ما يتصل بالبعد الحسابي، والبعد الروحاني، فضلا عن قيمته الفنية والجمالية والتعبيرية. حيث تتخذ العلاقة ما بين المادة الخطية والأسس الجمالية فيها مسارات متفرعة، تستفيد من وظائف الحرف البنائية وصوره وأشكاله، وتشكيل مسار ينطوي على مقصديات فنية وجمالية وبلاغية جديدة. (البندوري محمد، ص:109)
.

ومن خلال بعض النصوص المخطوطة، تظهر بعض الأشكال الجديدة للخط المغربي؛ كالخط المكناسي والدرعي والسوسي والصحراوي أو الشنقيطي وغيرها، وقد أشار إليها المختار السوسي في المعسول بقوله: "ومن المكاتب الضخمة مكتبة الشيخ ماء العينين دفين تزنيت، فإنها مكتبة عظيمة، لا تقل عن مكتبة تيمكيدشت لما لمؤسسها من صيت عظيم في الآفاق المغربية، وهو أشهر من أن أعرف به هو وأولاده، وقد اطلعت على معظم خزانتهم هذه، ورأيت فيها من الخطوط الصحراوية والشنكيطية والسوسية والسودانية والفاسية والمكناسية والتونسية والمصرية والمشرقية ما عز وجوده ونظيره. وكلها من هدايا سلاطين المغرب" (المختار السوسي، ص: 3/357). وفيما يلي بعض المظاهر الجمالية لخطوط مغربية مختلفة:

- ✓ **الامتـــداد الرأســـي:**

وهو امتداد الحروف القائمة مع إمكانية التحكم في طولها كاللام والألف، وقوائم الظاء والطاء، وتسمى هذه الحروف القائمة والطالعة بالأصابع، وتعني هذه الصفة أننا يمكن أن نتحكم في امتداد طول الحرف وقصره مما يعطينا إحساسا بالصعود والنمو (مصطفى سعد، (1989، ص: 29).

ومن الخطوط التي تميزت بهذه الصفة؛ الخط الصحراوي المغربي الذي انفرد بتنوع سمكه وأشكاله كما يظهر في الشكل رقم (6)، وهو "يتموقع بين الخط المغربي المبسوط والمجوهر".

الشكل رقم (6) نموذج للخط الصحراوي المغربي

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

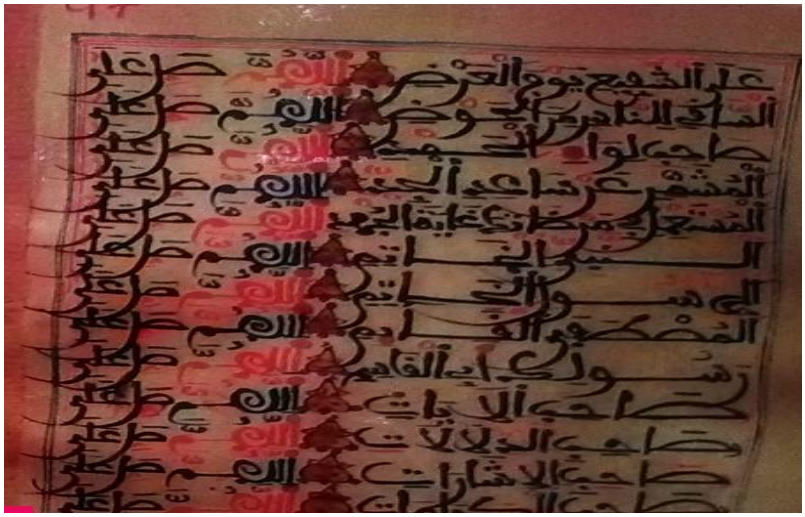

خط مغربي صحراوي من مخطوط دلائل الخيرات للجزولي

وكما يظهر في النموذج نلاحظ أنه كتب بسمك غليظ وباستدارات حروف النون والياء والميم، وامتداد رأسي لبعض الحروف، محاكيا في ذلك الخط الفاسي؛ كما يتميز بسمك متوسط وسمك أقل من المتوسط وذلك تبعا لخصوصية الأقلام المغربية الحسانية التي تنوعت وتشكلت في هياكل هندسية قادرة على تشبيع الحروف بإمكانات فنية هائلة، ولذلك سار الخط المغربي الحساني في مسلك فني يؤدي أدوارا جمالية ونفعية. (البندوري (2016) ص: 207).

والخط عامة، لا يوصف بالجودة والجمال إلا إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه، وتلعب هذه الصفة دورا هاما في عملية التنغيم والإيقاع، حيث أن المدود الطويلة في الكلام تؤدي دور لحظات الصمت، فاستمرار الحرف ممدودا مصحوبا يجعل العين تتابع هذه المسيرة حتى لحظة التوقف، أو التشابك مع حروف أخرى، حيث أن الأشكال التي تعطي الإيقاعات هي غالبا الألف واللام وما شابهها بشكل عمودي ومتكرر. فتمديد الحروف يعطي إحساس بالقوة الصاعدة، ويكسب الخط نوعا من الشموخ والرفعة والجمالية.

- ✓ **الامتـداد الأفقـي:**

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

وهو بسط أجزاء الحروف الأفقية، بمعنى رسم أجزاء من الحروف مستوية على السطر لا تعلو فوقه ولا تهبط أسفله. ويمثل الشكل الآتي انبساط وامتداد السين والخاء والقاف والصاد، والهاء، مما سهل تزايد الإحساس باستقرار هذه الحروف، ويعطي إحساسا بالثبات والسكون، انظر الشكل رقم (7) والشكل رقم (8).

الشكل رقم (7) **الشكل رقم (8)**

خط مغربي صحراوي من مخطوط دلائل الخيرات للجزولي **صفحة من مصحف مغربي مكتوب بـ"كوفي المصاحف"، خزانة الجامع الكبير، مكناس، رقم 23/1**

حيث تظهر في الشكلين معاني الاستقرار والرسوخ بشكل ملحوظ في الحروف الممتدة أفقيا، ويؤدي التوازن والتكرار الأفقي للحروف إلى بعض العلاقات التي تنتج إيقاعات متنوعة، ودلالات مختلفة تشد القارئ، وتتوقف على مدى اختلاف هذه الحروف في السمك والطول والوضع وعلى مدى تقاربها أو تباعدها.

✓ **التدوير:**

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

يسمى كذلك بالتقوير أو التقويس، وهو من أهم صفات الخط المغربي خاصة المبسوط منه، والخط يوصف بالجمالية كلما استدارت أطرافه (الخزام (1992)، ص: 76)، والمقصود بالاستدارة؛ جعل الحروف على هيئة نصف دائرة سواء أكان هذا التقويس للداخل (تقعر الحرف) أم للخارج (تحدب الحرف)، كما يظهر في الشكل الموالي رقم (9) تقويس حرف النون واللام والعين والياء.

الشكل رقم (9)

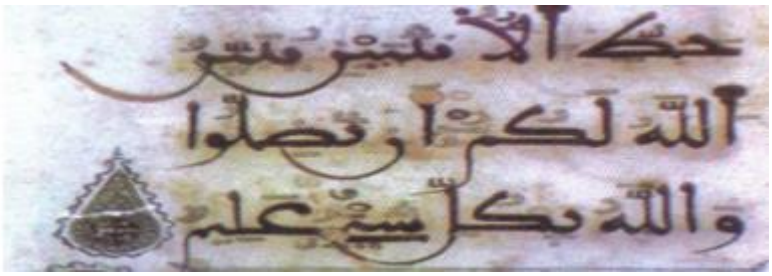

والخطوط المنحنية كلما استدارت وتكررت أعطت إحساسا بحركات دورية كالتنفس، فهي بذلك تعبر عن دينامية حيوية. ويتوقف تحديد الإحساس الناتج عنها عن مدى اتجاهها، ومدى شدة أو رخاوة انحناءاتها ومعدل تكرارها. كما ترتكز فنيته على علاقة الخط المستقيم بالخط المنحني ومدى ارتباطهما ببعضهما، فإنهما يرتبطان ارتباط القوة بالرشاقة.

- ✓ **الانسيابيــة والحريــة التشكيليــة:**

يعد خط الثلث المغربي من أكثر الخطوط العربية ليونة (المغراوي، ص: 57)، على الإطلاق فحروفه كثيرة الصور وأحجامها متباينة تسمح له بتقمص أشكال غير متناهية، وخلق حالات تشكيلية معقدة، فالخطوط المغربية عامة، ليست لها قواعد قياسية مضبوطة، على شاكلة الخطوط المشرقية التي ضبطت بمقاييس نقطية استجابة لنظرية الخط المنسوب التي وضع أسسها ابن مقلة. لكن بالمقابل نجد في الخط المغربي حضور نوع آخر من المقاييس البصرية التي تعتمد على احترام شكل الحرف ونسبته بين الحروف، وانسجامه التركيبي وحيويته التشكيلية، فأي نشاز بصري في الحرف يعني تلقائيا الخروج عن الإطار الجمالي الذي تتحكم فيه عناصر التناغم والليونة والقوة التعبيرية، من هنا كان اكتشاف روح الخط المغربي أمرا في غاية الصعوبة، لأنه يعتمد على فهم منطقه الفني ونسقه التعبيري الخاص.

2-2 المنمنمات في المخطـوطات المغربية:

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

✓ **نشأتهـــا:**

لقد كان استخدام العرب للورق أحد أهم العوامل الرئيسية التي أدت إلى نشأة فن المنمنمات الإسلامية؛ حيث تم نقل صناعة الورق من الصين ليصبح بديلًا للبردي؛ والرق وهو ما يُعرف بالجلد المستخدم للكتابة، وحينما انتشر الورق بالعالم العربي ظهرت مهنة الوراقة؛ وهي عبارة عن مهمة نسخ الكتب، وقد اهتم العرب والمسلمون بفن صناعة الكتب بشكل كبير، وكان يعمل على صناعته مجموعة من الحرفيين مثل؛ النساخين، والمذهبيين، والمجلدين، والمصورين. (قجال نادية، ص: 21).

وكان المصور تابعا للخطاط، يقوم بتوضيح النصوص من خلال الرسم في حدود المساحة التي تترك له في صفحات المخطوط، وقد كان كتاب "كليلة ودمنة" أول شاهد من الكتب العربية على ظهور فن المنمنمات الإسلامية، فتوالت بعده كتب عديدة اهتمت بتقديم التفاصيل والشروح من خلال المنمنمات، مع الحرص الشديد من الوقوع في التجسيم، فانطلقوا نحو عالم آسر خلاب، يصورون فيه البشر والحيوانات والنباتات من دون تعيين، أي من دون نقل لملامح كائن بعينه، تحدد من حيث الزمان والمكان والذات، فقد كان همهم تصوير المفاهيم أو المعاني الكلية للكائنات في إطار عالم فني يتكامل فيه الحرف والرسم.

فازدهر فن المنمنمات في الأندلس والمغرب العربي، فأصبح فنا يعكس الهوية الأندلسية والمغربية فنيا وثقافيا وحضاريا، وتميز بطابعه ومقوماته الذاتية، وقد كان للمدرسة الأندلسية الأثر البالغ في الحركة الفنية في أوروبا والمغرب، فتناول موضوعات أدبية وتاريخية ودينية وعلمية، وتنقل بين المقصدين الإيضاحي والتأويلي. مستندا في ذلك على قواعد وضوابط خاصة به تقوم على حذف المنظور، واستبعاد الأضواء والظلال، وتقديم البشر والحيوانات كمفاهيم ومعان كلية.

✓ **جماليتهـــا:**

تعد المنمنمات فنا توشيحيا للنصوص بواسطة الرسوم التوضيحية المصغرة، بحيث تكون المشاهد في علاقة مباشرة مع النص المكتوب، (مندور، (2018) فهي تؤرخ لجوانب ومعاني ودلالات لا يمكن تدوينها، وإذا دونت، فإنها لا تعطي وصفا دقيقا وصورة كاملة مثل الرسم. كما تروم زخرفة وتذهيب، وتزيين وتزويق المخطوطات. وتعتبر أحد أهم فروع الفن الإسلامي و مجال من مجالاته. ومن خصائصها؛ الدقة في التصوير وكثرة التفاصيل، وتعدد عناصرها الفنية أو التشكيلية؛ سواء كانت آدمية أو حيوانية أو نباتية وغيرها.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

وظاهرة التصوير أو الرسم في المخطوطات المغربية، لم توظف كعنصر فني في صناعة المخطوط إلا لماما، وذلك لاعتبارات تاريخية ومذهبية، لذلك كان منحصرا قبل العصر المريني في مجالات التشييد؛ كبناء القصور، وتزيين الأواني النفيسة، لكن هذا لا ينفي احتمالية وجود مخطوطات مغربية منمنمة أقدم وأعرق، لكنها لم تصل إلينا.

والفن الإسلامي عامة، آثر ألا يكون في الرسم والتصوير أثر لما يوحي إلى التجسيم (الحسيني عبد الحفيظ، (2014)، ص:6)، ولذا اكتفى بالصورة المسطحة التي تعتمد على الإبهام. لذلك كانت الرسوم الآدمية تجريدية غير واضحة المعالم، لأنه لم يكن هناك اهتمام بإيضاحها، فليس المقصود إنسان بعينه، وإنما الإشارة إلى وجوده فقط.

وأما رسوم الحيوانات فغالبا ما كان المصور يعمد إلى تحويرها بالزخرفة، والألوان غير المشابهة لها في الواقع، وذلك قصد إبعادها عن طبيعتها الأصلية. فتصبح وكأنها إسقاط للأشياء وليس انعكاسا لها.

وهذا الجهد الذي كان يبذله الفنان المسلم في سبيل تحقيق هذه المعاني، لهو أعظم من أي جهد بذله فنان آخر، بل وفيه من الإبداع ما لم يصل إليه الفنان الكلاسيكي. فقد برهن على قدرات وإمكانات لا حاجة لها في أي عملية فنية تقوم على النقل أو المحاكاة. (بهنسي، عفيف، (1984)، ص: 43). وفي ما يلي بعض النماذج من مخطوطات مغربية تبين ذلك التعالق الجمالي والدلالي بين الصورة والنص.

النموذج الأول رقم (10): مخطوطة مجهولة المؤلف، بعنوان "حديث بياض ورياض" من كتاب الرسم والنمنمة.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

تعد مخطوطة "بياض ورياض" من أقدم المخطوطات المغربية المصورة في العصر المريني، ويرى (البهنسي، (1984) ص: 83)، أن المخطوطة أنجزت صورها في المغرب أو الأندلس، ويرجح (الحسيني عبد الحفيظ (2014) ص: 88)، أن أحداث القصة وقعت في الأندلس، بحكم مظاهر الترف التي أخذت تخالط حياة الأندلسيين في عهد ملوك الطوائف، وتشير بعض المنمنمات من المخطوطة إلى المؤثرات الأندلسية التي عرفها المغرب بعد سقوط الأندلس حيث هاجر معظم أهلها إلى الضفة الجنوبية، وتحديدا إلى المغرب الذي سيعرف اندماجا مع العوائد والتقاليد الأندلسية، ومن تم انصهارها تماما في الحضارة المغربية التي تعد الحضارة الأندلسية إحدى أهم روافدها، فهي تصور جوانب عديدة من الحياة اليومية؛ ألبسة، عمارة، وغيرها.

وأما نصوصها فهي مكتوبة نثرا وشعرا بخط مجوهر (انظر الشكل رقم (10))عليه بعد ملامح الخط المبسوط، فضلا عن بعض التأثيرات المأخوذة من الخط الأندلسي كما يظهر في بعض عناوين مخطوطة "حديث بياض ورياض" (انظر الشكل رقم (11)) المكتوبة بخط مجوهر ثخين مع تأثيرات الخط المبسوط.

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

الشكل رقم (11) نموذج من عناوين مخطوطة بياض ورياض

النموذج الثاني رقم (12): منمنمة بعنوان "رسالة بيطرية" من عهد السلطان المولى إسماعيل، محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط، تحت رقم 6126.

الشكل رقم (13)

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

تتألف هذه الرسالة المخصصة للطب البيطري ورعاية الخيول، من ثلاثة أجزاء مقسمة إلى ثلاثين فصلا أو بابا بعضها مفقود. نسخت النصوص بالحبر البني وبحروف نسخية مغربية، تحمل تصويتا متفاوتاً. وتمت الإشارة إلى حركات الحروف الجزئية وإشارات ضبط اللفظ باللون نفسه، كما كتبت بعض الكلمات في النص والعناوين باللون الأحمر مع تدوير وتقويس نهايات الحروف.

وقد وظفت تسع منمنمات لتوضيح وتزيين النصوص، كما رتبت كل منمنمة ضمن مساحة مربعة الشكل، تشغل مجمل عرض الصفحة تقريباً، ولها نفس ارتفاع المساحة المكتوبة بالخط المغربي المجوهر (انظر الكل رقم (13).

خاتمــة وتوصيـات:

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية (MECSJ)
العدد الخامس و الخمسون (تشرين الثاني) 2022
ISSN: 2617-9563
www.mecsj.com/ar/

إن ما يميز مسيرة المخطوطات المغربية، أنها رحلة وجدانية يستشعر المتتبع لها دفء الإيمان، وتوهج الرسالة، وصدق الانتماء، فهي ليست قطعا جامدة، ولكنها كائنات حية تنبض بمشاعر الخطاط المغربي المسلم، وتعكس إصراره و تفانيه لتحقيق أعلى درجات الإتقان.

وقد شكلت المجال الأرحب لاستيعاب تمظهرات الخط المغربي بأنواعه القديمة والحديثة، والتي تعكس الخصوصية المغربية؛ تاريخيا وحضاريا وثقافيا، والمتجلية بكل معطياتها في الواقع المغربي، وقد اعتمد الخط المغربي جماليا على قواعد خاصة جعلته قابل لاكتساب أشكال هندسية مختلفة من خلال المد والاستدارة والتقويس والحرية التشكيلية وغيرها.

يضاف إلى ذلك، احتضانه لآليات التصوير المختلفة التي أكملت جانب الإتقان والتفنن في المخطوط المغربي، وذلك من خلال التعشيق والرسم والزخرفة بأسلوب تصميمي مبهر.

لكن، على الرغم من كون هذه اللمحة موجزة عن جمالية المخطوط المغربي غير ملمة بجوانبه، فإن الضرورة تدعو إلى عدم الزهد في إعادة النظر في شؤونه وقضاياه، ومحاولة بعثه حضاريا كأحد الوجوه التي تعبر عن هويتنا، فهو شاهد فصيح عن حقب زمنية من مخزوننا التراثي؛ بخطوطه المتنوعة وتجلياته الجمالية؛ تشكيليا وزخرفيا.

المصادر والمراجع:

- الإدريسي، عبد الحفيظ (2014): الرسم والنمنمة، ط1، المغرب.
- البندوري، محمد (2016): جمالية الخط المغربي في التراث المغربي، ط1، مراكش، المطبعة ولوراقة الوطنية.
- بنهسي، عفيف (1984): الخط العربي: أصوله نهضته انتشاره، ط1، لبنان، دار الفكر المعاصر.
- ابو الخزام أنور وآخرون(1992): جمالية الخط العربي، مجلة الفكر العربي، بيروت، معهد الإنماء العربي، ع67 مارس.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، (2005): المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي، الدار البيضاء، بيت العلوم والفنون.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، (1994): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط1، ج6، بيروت، دار صادر.
- الغزالي، أبو حامد (1990): معيار العلم، تحقيق:سليمان دنيا، ط2، القاهرة، دار المعارف.
- قجال نادية (2001): جماليات الفن الإسلامي ، الجزائر، جامعة مستغانم.
- القرطاجني، حازم (1966): منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، ت:محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، دار الكتب الشرقية.
- مصطفى سعد، (1989): المجموعة النادرة في الخط العربي والزخرفة، ط1، طنطا، مدرسة الخطوط العربية.
- المغراوي، محمد (2001): الخط المغربي عند ابن خلدون، مجلة حروف عربية،ع4.
- المنوني، محمد، (1991): تاريخ الوراقة المغربية، ط1، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.